

رحلة تعافني

"هنا سُليمان"



الكاتبة: هنا سليمان
غلاف خارجي: مريم جمعة
تدقيق لغوي: جمانة أحمد
تنسيق داخلي: هنا سليمان

المقدمة

خوف..

كلمة من ثلاث حروف لا تعني لبعض الناس شيئاً،
ولكن لبعضٍ آخر فهي طبيعة حياة!.. وبالنسبة للحالة
خاصَّتينا فهي عانت منه لسنوات، خوفٌ نَبُتَ بِدِاخِلِهَا
مُنذ الصَّغَرِ..

الازدحام، التعامل مع الناس، التجربة، والمُواجهة... كل
هذا كانت تُعاني منه لِيَجْعَلَهَا تَنعَزَلُ عَنِ الْجَمِيعِ وَتَخْلُقُ
فِي مُخِيلَتِهَا عَالَمَ مُغْلَقٍ لِذَاتِهَا فَحَسَبَ، وَلَكِنْ مَاذَا إِذَا
اتَّخَذْتَ الْقَرَارَ بِأَنْ تَوَاجِهَ مَخَافِهَا بِمُسَاعَدَةِ طَبِيبِ

نَفْسِي؟

في إحدى عيادات الطب النفسي كان يجلس على كرسي
مكتبه يعدل من نظارته الطبية مُنتبهاً للأوراق التي
أمامه، حتى دخلت مساعدته مُنتظرة الإذن لدخول
المريضة التالية للكشف، فhez لها رأسه بالموافقة ورتب
الأوراق التي بيده ثم وضعها جانباً، وأطفأ الموسيقى
الهادئة التي كانت تصدر من الجهاز القريب منه،
لحظات ودخلت تلك المريضة، ليدقق النظر بها..
شعرها الأسود المُسدل على كتفيها، ملابسها الواسعة
الغير مُهدمة.. كانت تدل على أنها غير منظمة، ظنّ
أنها غير مُهتمة بهيئتها، جلست أمامه بهدوء وظل
يتأملها رغبة في فهم شخصيتها أو انطباعها عن المكان،
بث لها ابتسامة هادئة وعدل موضع نظارته مرة أخرى،
تفادت هي بدورها النظر له وأرجعت بعض خصلاتها
خلف أذنها وشدت أكمام سُترتها ببعض من التوتر، ثم
حممت ونبست بصوت خفيض :
_ "شكلك صغير!" .

فهقه بهدوء مما قالته لیتساءل بتؤدة :
_ "تدیني كام سنة یعنی؟" .

رفعت أكتافها دلالة على جهلها، لَتتحدث مرة أخرى :
_ "مش عارفة بس شكلك لسة متخرج".

خلع نظارته ووضعها على المكتب ثم هز رأسه
بالرفض :

_ "أنا متخرج من ٦ سنين".

ليجدها تُمعن النظر به بتركيز، لِيبتلع ريقه بقلق من
نظراتها فهتفت سريعًا :
_ "لون عيونك حلو أوي!".

فاحمرت وجنتيه خجلًا مما ألقته على مسامعه للتو،
ليهرب بخضراوته محمّمًا بخرج :
_ "شكرًا جدًا لحضرتك، تقديري تبدأي بالكلام.. أنا
مُنصت ليك".

تفحصت الغرفة من حولها بتوتر حين سمعت ما قاله،
لِتأخذ نفسًا عميقًا :

__ "ممكن نستنى شوية أقدر أعرفك بنفسى الأول؟".

هز رأسه بالموافقة وتناول مذكرة ملاحظاته والقلم
ليُدون بها ما ستقوله، لثُردف حينها :
__ "اسمي رقية عندي ٢٠ سنة م...".

توقفت عن الحديث حين استمعت لطرقاتٍ على الباب،
فأذن الطبيب للطارق بالدخول.. ثوانٍ ودلف شاب ببداية
عقده الثالث، دخل بخطى ثابتة وابتسامة مُشرقة على
عكس تلك الفتاة، فالقلق بدا على وجهها مُنذ دخولها..
بادر بالاعتذار مبتسمًا :
__ "آسف جدًا على التأخير".

فنظر له الطبيب باقتضاب منتظرًا التفسير منه، ليُكمل
ذلك الشاب :

__ "كان عندي شغل واضطريت أخلي رقية تيجي
لوحدها مع أن الموضوع صعب عليها، بس أنا كنت
واثق أنها هتقدر تعملها، آسف مرة ثانية نسيت أعرفك
بنفسى.. أنا سليم أخو رقية".

بادلله الطبيب الابتسامة مردفًا :

__ "تشرفنا".

فجلس سليم بجانب شقيقته وأمسك بيدها في محاولة لبتث الاطمئنان لها، لتَهْزُ له رأسها وتُكْمَل ما كانت ستقوله :
__ "أنا مشكلتي بدأت من زمان أوي...".

بدأت تحكي له قصتها ومشكلتها وعندما انتهت شَخَّص لها المرض وحدد موعد الجلسة القادمة لبتبدأ العلاج.

وعندما غادرت رقية وشقيقها ارتفع صوت هاتف الطبيب، أجاب وقبل أن يلفظ حرفًا جاءه الرد بصوت عالٍ قد اعتاد عليه :

__ "بقولك ايه يا عم ابعده أمك عني!".

ليتحدث هو بهدوئه المعهود :

__ "يا ابني بطل عصبيتك دي شوية".

رد الآخر عليه بتقزز :

"بلا عصبية بلا قرف".

قهقهه عاليًا من سخرية شقيقه، فذلك المعتاد منه..
الغضب على أهون الأسباب وشجاراته الدائمة مع
والدته، حتى أنه يتذكر ذلك الشجار الذي يتكرر بنفس
التفاصيل يوميًا، أردف بهدوء:

"مش قولتلك تعالى العيادة مرة".

أشاح بيده كأنه يراه وأجاب بتبرم :

"ليه يا عم! شايفني مجنون ولا ايه؟".

هز رأسه بياس من أفعاله :

_"يا ابني مين قالك إن اللي بيحي العيادة بيكون
مجنون؟"._

ضرب المكتب الذي أمامه بضجر ونفاذ صبر صائحا :

"خُلُصة الكلام الكلية دي مش نازلها تاني اشطا!".

أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه براحه :

_"خِلاص يا حبيبي لما آجي من الشغل نبقي نشوف
الحوار ده".

بعدها انتهى من عمله بالعيادة ورتّب كل شيء ليوم غد،
هم بالرحيل عائداً لمنزله الحبيب بعد يوم شاق، فكانت
الحالات اليوم كثيرة على غير المعتاد، عاد للمنزل
وعندما وطأت قدمه بالمكان استمع لصوتها العالي،
قلب أعينه بملل ليسمع حديثها المعتاد والذي أصبح
يكرره معها، سمع صوت والدته تهتف :
_"أهو عبد الرحمن وصل.. تعالى يا عبدالرحمن".

كان يُغمغم بنفس ما قالته للتو واقترب منها بملل مُجيباً
:
_"نعم يا ماما؟".

أشارت على أخيه المدعو معاذ وصاحت بسخط :
_"تعالى شوف البيه أخوك عشان أنا زهقت!".

مسح على وجهه بضجر ثم تحدث بهدوء :

_"في ايه يا معاذ يا حبيبي؟".

ربع ذراعيه أمام صدره ونبس بتؤدة احترامًا له :
_"مش عايز أروح الكلية دي تاني يا عبد الرحمن، أنا
بجد مش حاببها ومش حابب وجودي فيها.. مش
مستريح، مش ده مكاني اللي أنا حاسس نفسي فيه ومش
عارف اتأقلم وكل لما أقول لماما بتكون مُصرة إني
أكمل فيها، عشان بس يبقى اسمي دكتور وخلص.. أنا
مش عايز ده يا عبد الرحمن".

_"طيب ايه اللي هيرحك يا معاذ دلوقتي؟".

لمعت عيناه بأمل صائحا :
_"أحوّل من الكلية دي وأدخل فنون جميلة وهعمل
business خاص بيا".

رفعت والدته شفتها العليا بدهشة ممزوجة بالضيق :
_"ايه؟!".

أشار لها عبد الرحمن بأن تصمت وتحدث بهدوء :
_ "لو ده اللي أنت عايزه بجد اعمله، ومحدث هيعترض
عليه طالما أنت حابه".

نظر له معاذ بصدمة وفرحة في آن واحد ونهض سريعًا
يُقبل رأسه، ثم أردف بنبرة شديدة الحماس :
_ "أنا مش عارف أقولك ايه بجد يا بودي، وراسك أهيه
أبوسها".

فأشار له بسبابته مُحذرًا :
_ "بس لو سمعتك بتشتكي يا معاذ أو بتقول مش حابب
الكلية والله ما حد هيمسكني عنك".

_ "عيب عليك يا كبير، أتكلم أنا بقي".

لاحظت ابتسامة جانبية على ثغره مُردفًا :
_ "سيبيه يا ماما، أنا مش هخليه يكمل في حاجة هو مش
عايزها، تصبحي على خير يا حبيبتني هدخل أنا".

ربتت على يده وبادلته الابتسامة ناطقة :
_ "وأنت من أهل الخير يا حبيبي".

تركها ودلف لغرفته ثم بدل ملابسه وتهاوى على
الفراش بتعب، لم يستغرق دقائق حتى غطى في نوم
عميق ولكن أيقظه رنين هاتفه، فانتشله من أسفل الوسادة
ليجد رقمًا مجهولًا فأجاب بصوت يغلبه النعاس :
_ "ألو".

_ "ألو.. دكتور عبد الرحمن صح؟!".

حك أعينه بتثائب ثم تحدث بتركيز :
_ "أيوة، مين؟!".

_ "أنا رقية اللي جيت النهاردة مع أخويا سليم".

_ "أيوة افكرت، خير.. فيه حاجة ولا ايه؟".

_"بصراحة أنا مش هقدر استنى معاد الجلسة الجاية..
وعايزة آجي لحضرتك بكرة، ينفع؟"._

صمت لِبُرهة ثم عاود الحديث :

"طبعا ممكن تيجي في أي وقت مفيش مشكلة".

"شكرا جدا لحضرتك، آسفة لو أز عجتك".

_"لا لا محصلش حاجة، لو احتاجتي أي حاجة أنا
موجود"._

"شكرا، مع السلامة".

انتهت المُكالمة وأغلق الهاتف وأرجعه لمكانه وعاد
لِثباته مرة أخرى.

في اليوم التالي دخلت للعيادة بنفس ذات الرهبة كالمرة السابقة، رافقتها مُساعدته حتى دخلت، ابتلعت ريقها بتوجس واقتربت من مكتبه فانتبه لوجودها، رمقها باهتمام مردفًا :
_ "ازيك، عاملة ايه؟".

هزت رأسها بخفوت وهي تجلس :
_ "الحمد لله كله تمام".

ترك قلمه وخلع نظارته ثم تحدث :
_ "تقدري تتكلمي، سامعك".

أقلت ما بجُعبتها وهي تلعب بأحد الأقلام التي كانت على المكتب، أنهت حديثها مُدققة النظر في حدقتيه :
_ "بس كده، والصراحة أنا خايفة أوي وحاسة إن تعاملني مع الناس بقى أصعب والموضوع بي زيد عن الأول، أنا جيت لحد هنا بأعجوبة".

أنهى تدوين ملاحظته ثم قال :

_"متخافيش ده شيء طبيعي في حالتك وإنك شايفة الموضوع صعب بس صدقيني هو سهل جدًا، خوفك بس اللي مسيطر عليك وبيزداد جواك.. بس متقلقش مع جلسات العلاج هتبقى كويسة، بس أنت كمان لازم تساعدي نفسك زي ما أنا هساعدك يا رقية.. لازم تتغلبى على خوفك".

_"طيب ايه اللي في أيدي أعمله؟".

تلفظت بذلك بحيرة فأجابها هو بعملية :
_"حاولي تنزلي الشارع وتتعلمي مع الناس، ده هيساعدك جدًا".

حدقت به بذهول و هتفت بصوت عالٍ نسبيًا :
_"أنت بتقول ايه! استحالة أعرف أعمل كده!!".

فهقه على انفعالها ثم أكمل :
_"خلاص خلاص متتعاملش مع حد، بس على الأقل انزلي الشارع.. اتمشي مثلاً شوية وارجعي تاني".

أخذت نفسًا عميقًا تملأُ بهِ رئتيها ثم أخرجته براحة
لِتقول :
_ "خلاص هحاول".

ابتلعت ريقها بتوتر وخوف مُمسكة هاتفها تعبت فيه
وتبحث عن أحد الأرقام بسرعة، ثم اتصلت بالرقم الذي
تبحث عنه ولم تتلقى أي رد.. فاتصلت مرة أخرى
فكانت مثل سابقتها :

_ "رُد يا سليم بالله عليك هروح في داهية".

هتف الضابط بصوت يحمل شيئًا من الغلظة :
_ "ايه يا أنسة كلمت حد؟!!"

حدقت بهِ بتوتر ثم أجابت :
_ "لسة.. ممكن أحاول أرن ثاني؟".

أشار لها بالموافقة وانبتق خارج الغرفة وتركها وحيدة
بمكتبه، لِمَسك هاتفها مرة أخرى تتصل على شخصٍ
آخر :

"ألو يا دكتور، أنا تقريبًا سمعت كلامك وعملت اللي
قولت عليه".

__ "هايل يا رقية وايه اللي حصل؟".

__ "أنا في القسم يا دكتور".

نهض من مكانه فزعًا كَمَن لدغته أفعى :
__ "ايه!!".

تشنجت ملامحها كأنها توشك على البُكاء :
__ "زي ما سمعت كده، أنا دخلت القسم لأول مرة في
حياتي.. هي دي حاجة كويسة ولا وحشة؟".

__ "أنا مش عارف!!".

مسحت على شعرها بحيرة ثم نبست مرة أخرى :
_ "أنا كلمت سليم عشان يبجي يخرجني ومش بيرد،
فتعالى خرجني من هنا أرجوك".

_ "متقلقيش.. قوليلي أنتِ في قسم ايه بس؟".

أخبرته باسمه وعنوانه وأغلقت المُكالمة سريعًا، لِتسمع
بعدها صوت شجار بالخارج، وشخص يفتح الباب
ويدخل وأمامه اثنين بصوتهما المُرتفع، صاح أحدهما
بسخط وتبرم :

_ "ادخلي يا ختي أهو كله منك".

صاحت الفتاة بدورها بغضب مُماثل :
_ "أنتو الرجالة تموتوا في قلب الترابيزة كده".

لِتتضح لها تلك الفتاة.. إنها صديقتها، نطقت باسمها
بهمس غير مُصدقة لما تراه :
_ "چنى أنتِ ايه اللي جابك هنا؟!".

وحين انتبهت چنى لوجودها عانقتها سريعًا وتغيرت
ملامح وجهها بالكامل للبكاء والنحيب، حتى قالت بغیظ
:

_"كله من البیه ده.. كسر علیا وأنا ماشیه، وربنا
لأدخلك الحبس عشان تبقى فرحان أوي كده بیها.. تلاقى
الست الوالدة اللي جابها".

أشار بسبابته بغضب جامح وصرخ بوجهها :
_"احترمي نفسك واتكلمي عدل!".

قلدته ووقفت أمامه بتحدي :
_"مش أنت اللي تعلمني ازاي اتكلم عدل".

صرخ بهم الضابط بصوته الغلیظ بضجر :
_"بس أنت وهی.. ایه مش بتسكتوا! أنا هسیبکوا شویة
تتصافوا كده عشان شکلکوا ولاد ناس مش وش حجز،
ده أنت لو دخلتی الحبس یا قطة هیاکلوکی".

تساءلت رقیة ببلاهة :

"ليه هما بيعملوا ايه في الحبس حضرتك؟".

ضرب على المكتب أمامه بكاتا يديه وزفر بغیظ وتركهم جميعًا وخرج، بينما احتد نظر چنی للشاب بوغر قائلة :
"لو قولت أنا آسف أنا هسامحك".

رفع شفته العليا بسوقية وهتف :

"آسف مين يا عنيا.. بتحلمي! أنتِ اللي دخلتِ فيا أصلا".

أضافت رقية من بين حديثهما المُرِيب :

"چنی هو أنتِ لحقتي تتعلمي السواقة امتي؟".

وكزتها چنی في كتفها حتى تصمّت ولكن انتبه الشاب لما قالته، صرخ بتعجب وغضب :

"ت ايه؟؟ أنتِ مش بتعرفي تسوقي أصلا!!".

حاولت إصلاح ما أفسدته رقية وقالت مُبررة :

"أ... على فكرة بقى أنا بعرف أسوق".

__ "أتأسفي".

نبس بها بطريقة حازمة وجادة لا مجال للنقاش فيها،
بينما حدثت بهِ چنى بصدمة ثم غمغت بصوتٍ خافت
:

__ "أنا آسفة".

وضع يده خلف أذنه مُبتسمًا بتشفي :
__ "ايه! بتقولي ايه؟ مش سامع".

نظرت للأرض بخزي وكررت ما قالتة مُجددًا :
__ "أنا آسفة".

وهنا دخل عبد الرحمن بصُحبة الضابط ووجد رقية
ومعها فتاة أخرى.. ومهلاً معاذ!، أردف بجدية :
__ "هو أنا ممكن أضمن الثلاثة؟".

مرّ شهران على ذلك اليوم وأكملت رقية جلسات علاجها مع عبد الرحمن، وبدأت حالتها تتحسن وخوفها من الناس والازدحام يقل تدريجيًا، إلى ذلك اليوم الذي كانت تجلس فيه مع صديقتها چنى بالمنزل.

__ "وبس بقى، راحت ماما سابت البيت ومشيت".

وضعت حبات الفُشار في فمها وهي تُنصت لحديثها :
__ "وبعدين بقى ايه اللي حصل؟".

__ "والله الست الوالدة مش راضية ترجع لحد دلوقتي".

وقبل أن تتفوه بكلمة أخرى استمعت لرنين هاتف چنى، فنظرت له سريعًا ثم تساءلت :

__ "معاذ؟ هو ده أخو دكتور عبد الرحمن يا چنى؟".

أومأت برأسها وأمسكت الهاتف تُغلقه :

__ "آه هو معاذ".

"ازاي؟ مش أنتو كنتوا ماسكين في خناق بعض في القسم، ايه اللي جمعكم على بعض!"

رن الهاتف مرة أخرى لِتُبعده عنها قائلة :

"اليوم اللي اتخانقنا فيه سمعني وأنا بتخانق مع مودي وأنه مش عايزني فالشغل تاني، فعرض عليا أننا نشتغل مع بعض وأنه فاتح شركة صغيرة هو وكام واحد صاحبه وعايز model لشغلهم، والصرافة عرض عليا مبلغ كويس فليه لأ!"

ارتسمت ابتسامة على ثغرها وصاحت :

"يا بت مفيش حاجة كده ولا كده؟"

هزت رأسها بشدة بالرفض :

"لا لا ايه اللي أنتِ بتقوليه ده، مفيش حاجة.. كل اللي بينا شغل وبس!"

أكملت رقية أكل الفشار :

"ماشى يا ست چنى أما نشوف!"

على الناحية الأخرى تهاوى عبد الرحمن بجانب والدته
على الأريكة ثم أرفف بسرعة :
_ "ماما أنا هاخذ قرار متهور شوية".

ربتت على كتفه ونبست :
_ "قول يا حبيبي فيه ايه؟".

لم يُكمل كلامه حتى وجد شقيقه يصيح بصوتٍ مُرتفع
من بعيد:
_ "يا ماما أنا عايز اتجوز".

أشار عليه وهو يقترب منهما وهتف :
_ "هو ده بالظبط اللي عايز اعمله".

حدقت به بفرحة صائحة :
_ "بجد يا حبيبي!! أخيراً!!".

_ "ده أنا أز غرطلك والله يا بودي".

أردف عبد الرحمن بحنق من حديثهم :
_ "في ايه يا جماعة هو أنا عنست وما صدقتوا!".

_ "لا بس أول فرحتي وعايزة أفرح ببيك يا حبيبي، مين
بقي؟".

_ "مريضة عنده يا ماما، عالجه وعايز يتجوزها".

_ "ايه!!".

تجاهل ما قالته وأكمل حديثه مع أخيه :
_ "بالمناسبة بقي كلمت چنى؟".

_ "چنى مين؟".

تجاهلها هو الآخر وأكمل :
_ "أيوه كلمتها والباقي عليك بقي يا حبيب أخوك".

__ "هقوم أكل على الله أنا بقى".

نهض متوجهاً لغرفته ولكن أوقفه نداء معاذ باسمه :

__ "خد يا حبيب أخوك".

وألقي له باقة من الورود الحمراء من بعيد فالتقطها
بحذر قبل أن تسقط على الأرض وأكمل سيره.

تقدمت رقية بعدة خطوات عن عبد الرحمن تدخل
للمطعم بخُطى قلقة، هتفت بنبرة مرتجفة بعض الشيء :
__ "إحنا جايين هنا ليه.. ما أنتَ عارف إنني لسة بتوتر
من الأماكن الزحمة يا دكتور، ده امتحان جديد ولا
ايه؟".

__ "انسي دكتور دي يا رقية وانسي الزحمة، بصي..".

تقدّمًا بعض الخطوات مرة أخرى؛ ليُتضح لها أن
المطعم لا يوجد به سِواهما ويوجد طاولة تتوسط المكان
والورود والشموع مُتناثرة هُنا وهُنَا، والمكان يعمّه
الهدوء عَدَا الموسيقى الخافتة التي تصدر من مكان
قريب، فحمم مُبتسمًا واتجه نحو الطاولة.. رمشت عدة
مرات غير مُصدقة لما ترى والابتسامة تُرسم على
تُغرها ببلاهة :

_"چنى قالتلى إن فيه مفاجأة بس معرفتش أنها حلوة
للدرجادي، ايه ده بقى؟!!"

نظر للأرضية بيأس وأعقب :

_"ياريتني ما عملتها، أنتِ شايفة ايه يا رقية.. أنتِ قالبية
معاكِ بغباء ليه؟!"

_"لا أنا مش غبية أنا بس مش مستوعبة!"

أمسك باقة الورد من على الطاولة واقترب منها ونبس
بنبرة تحمل في طياتها الحُب :

__ "أنا مش عارف القرار ده نتايجه هتبقى ايه، بس أنا بحبك يا رقية".

خُرسِت تمامًا وكان لسانها قد عُقد ولكن نطقت بصعوبة
:

__ "أ..أنا مش عارفة أقول ايه!".

__ "قولي اللي أنتِ حاسة بيه يا رقية".

أمعنت النظر لأعينه ونطقت بخفوت :
__ "وأنا كمان بحبك".

من بعيد كانت چنى تُشاهدُهما عن كثب وتبتسم بفرحة
قائلة :

__ "شكلهم حلو أوي".

نطق معاذ بجانبها بصوت خفيض :

__ "طب مش عايزة نبقى حلوين زيهم كده؟".

وكزته في كتفه بخجل وكست وجنتيها الحُمرَة وصمتت،
فصاح بمشاكسة :

_"ده الفراولتين اللي في خدودك نطقوا وأنتِ لأ".

هتفت چنى بخجل بنبرة خافتة :

_"موافقة يا معاذ".